مشرَّدون .. متسوِّلون

أسباب ظاهرة التشرُّد والتسوُّل

نلتقي المفتش العام في وزارة حقوق الانسان السيد مخلص عبد الرزاق الذي حدثنا قائلا:

ظاهرة التسول والتشرد ظاهرة اجتماعية معقدة تقف وراءها اسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية واخلاقية ويمكن ايجازها كالاتي:

الاسباب الاقتصادية.

مما لاشك فيه ان العوامل او الاسباب الاقتصادية تلعب دورا اساسيا في ظهور هذه المشكلة اذعاش المجتمع العراقي في ظل النظام السابق والفترة اللاحقة لسقوط النظام ظروفا اقتصادية صعبة ادت الى انخفاض مستوى القوة الشرائية للمواطن العراقي لاسيما اصحاب الدخول الثابتة من الموظفين والمتعاقدين والكسبة وغيرهم..ان انخفاض معدل دخل الفرد انعكس بشكل سلبي وخطر على امكانية توفير فرص العمل للعاطلين.اذ تشير تقديرات البنك الدولي الى شيوع ظاهرة البطالة بنسبة ٥٠٪ من اجمالي القوى العاملة وانتشار ظاهرة الفقر الى ٦٠ ٠/٠ من السكان المعتمدين البطاقة التموينية.مما دفع بالكثير من العوائل الى تشغيل اطفالهم من اجل توفير الحاجات الاساسية للعائلة العراقية مما ساهم بشكل واضح في انتشار ظاهرة الاطفال المشردين والمتسولين في المجتمع العراقي.

في الاسباب الاجتماعية.يلعب العامل الاجتماعي دورا كبيرا في بروز ظاهرة التشرد والتسول للاطفال حيث تعتبر الاسرة هي قوة المجتمع الاساسية.وبسبب الظروف الاستثنائية السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشها المجتمع العراقي حيث يلاحظ في هذا المجال ان معظم الاطفال المشردين والمتسولين (اطفال شوارع) كانوا من الاسر التي تعاني التفكك الاجتماعي اما بسبب وفاة احد الزوجين (الاب او الام) او بسبب الطلاق او غياب الاب للعمل خارج الوطن او بسبب انشغاله في الخدمة العسكرية او لاسباب سياسية.فان الامرينعكس سلبا على السيطرة والتربية والرفاهية وتوجيه الاسرة مما ساعد على الانحراف والتشرد للا سر التي تعاني هذه الظاهرة حيث تشير احصاءات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية الى ان ٤٠ ٠/٠ من الجانحين امهاتهم مطلقات وان ١٢ ٠/٠ فهم بسبب وجود زوجة الاب و١٣ ٠/٠ بسبب زواج الاب بزوجة ثانية.

كذلك فان ظاهرة التسرب من المدرسة وعدم تطبيق التعليم الالزامي ساهمتا في زيادة حجم المتشردين والمتسولين من الاطفال وتشير الاحصائات الى ان نسبة التسرب من المرحلة الابتدائية بلغت ٢١ ٠/٠ في الوقت الحاضر بالرغم من كل التشريعات التربوية التي صدرت من العقود الماضية وخصوصا قانون مجانية التعليم في جميع المراحل الدراسية وكذلك الزامية التعليم الابتدائي ومحاولة تطويره ليشمل المرحلة المتوسطة مما يتطلب اعادة تفضيل الزامية التعليم للمرحلة الابتدائية.

ان ظاهرة التسرب لها اسباب كثيرة منها ان المدرسة اصبحت بشكل ضغطاً اقتصادياً على اولياء امور الطلبة وتدني المستوى الثقافي للاباء والامهات بلاضافة الى السلبيات التي تعاني منها العملية التربوية بمختلف ابعادها من حيث الدرس والمنهج والمدرسة.مما ساعد على دخول الاطفال الى سوق العمل دون السن القانونية والتي تحدد غالبا بسن ١٥ , ١٤ سنة مما يعرضهم الى الجنوح والانحراف.كذلك فان الدولة ومؤسساتها المعنية بشؤون الاطفال المشردين والمتسولين تتحمل مسؤولية كبيرة في هذا الجانب من حيث عددالدور وتوعية الرعاية الاجتماعية والخدمات التي يتم تقديمها لهولاء الاطفال مما ساعد على تفاقم هذه الظاهرة السلبية وقد ازداد الامر سوء بعد سقوط النظام السابق وما تلاه من عمليات عسكرية وارهابية وعنف واضطراب الوضع الامني اجمالا مما ادى الى انتشار ظاهرة اطفال السوابق على نطاق واسع.

الاسباب السياسية

ان سلبيات الحروب والقمع والاضطهاد وافتعال الازمات التي استخدمها النظام السابق على الصعيد الداخلي والخارجي.ساهمت الى حد بعيد في بروز وانتشار هذه الظاهرة حيث ان عدم استقرار الاوضاع الاجتماعية يقود حتما الى تدهور اجتماعي خطر على مستوى الاسرة او على مستوى المجتمع العراقي ككل وينجم عن ذلك الكثير من الظواهر الاجتماعية السلبية من حيث ابتعاد الاب عن الاسرة لاسباب اقتصادية (العمل) او الخدمة العسكرية او الهجرة الى خارج الوطن وبالتالي غياب الرعاية الابوية للاسرة وتفككها مما ساعد في خلق وازدياد هذه الظاهرة.

ويشير المفتش العام لوزارة حقوق الانسان السيد مخلص عبد الرزاق الى ان التسول يقودالى مشاكل امنية مثل تفخيخ او نقل المعلومات او المشردين الذين يزرعون العبوات الناسفة من اجل بضعة الاف من الدنانير.واغلب هولاء المشردين والمتسولين لعوائلهم رواتب الحماية لكنها غير مجزية فماذا تفعل الارملة او المطلقة التي لديها عدد من الاطفال بمبلغ الحماية الضئيل في ظل ارتفاع الاسعار ويرى ايضا ان انحسار دور القطاع الخاص في الحياة الاقتصادية قد اوجد البطالة اوجد الفقر.

❖ ما الحلول برأيكم؟

- نحن مع الاسف كشعوب لم تكن لدينا تربية علمية للاطفال لذلك نجد شخصية الطفل مهزوزة شبابنا دائما يختلف عن شباب الدول الغربية مثلا سلطة الاب وقسوته تجعل من الطفل سلبي تربية الاطفال لدينا قاصرة؟.لذا نحن بحاجة الى تربية المجتمع مثلا لم نشاهد باحثة اجتماعية في اية مدرسة لذلك ينشأ الاطفال ضعافاً في الشخصية انا لا الوم المشرد او المتسول بل الوم المجتمع الذي يحتاج بدوره الى توعية فمجتمعنا يحتاج الى مراحل لكي يقضي على هذه الظاهرة ومن الخطأ ان اضع لها وقتا بل اضع لها بالتاكيدات يحدث بل على ان اقلل منها واضع خططاً مستقبلية لاية مشكلة بما فيها التشرد والتسول نحن كوزارة وزارة جديدة وثقافة حقوق الانسان بمستوى ضعيف ثقافة الرقابة ثقافة يكرهها الفرد لابل الفرد لدينا يكره الرقابة بكل اشكالها نحن عملنا بتجسيد الرقابة.

وختم السيد عبد الرزاق حديثة بلوم وسائل الاعلام التي لم تتناول هذه المشكلة ولم تحدد ابعادها ويقول:

دعينا ننسى الماضي ولنبدأ من جديد وعلينا ان نفكر معا ماذا نعمل على مستوى العشر سنوات القادمة والايصبح المجتمع باسره لدينا فرصة لكنها ليست كبيرة لانتشال المجتمع من هذه المشكلة.

قسم تأهيل الأحداث الذكور في الكرادة

٥٠٠ دينار يومياً لكل حدث من جيب المدير!

نعيم نايف موحان

> كان اسمه في السابق (دار الرحمة) وكان يقع في مدينة الرشاد وتم بناؤه عام ١٩٩٨ يؤوي العديد من المشردين... وقد زرته مرارا وكان نموذجيا... وبعد احداث عام ٢٠٠٣ تم تخريب وسرقة تلك الدار وسكن المبنى عوائل عديدة... ثم تم استبداله باسم بيت الطفل وشغل مبنى في الكرادة كان لاحد مسؤولي النظام السابق واسمه الان قسم تأهيل الاحداث الذكور..

. نلتقي مدير القسم السيد نعيم نايف موحان الذي قال:-

- نستقبل الاحداث من عمر ٩ سنوات الى عمر ١٨ سنة بعد احالتهم من محكمة الاحداث وفق قانون رعاية الاحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣ للمشردين وفاقدي الرعاية الاسرية... لدينا شعبة البحث الاجتماعي التي نضم سبعة باحثين خمسة رجال وسيدتان.. تقوم هذه الشعبة دراسة حال كل من يحال الى الدار... تهدف هذه الدار إلى ايجاد السكن للمستفيدين وتقديم خدمات عدة اضافة الى المأكل والملبس والدراسة، اقدم لهم مصروف جيب من مالي الخاص وهو ٥٠٠ دينار وكان في السابق ١٠٠ فلس.. لحين الموافقة على صرف المخصصات الخاصة لهم.. لكي لا يشعر الطلبة في اثناء ذهابهم الى المدرسة انهم اقل من اقرانهم.. صحيح ان مبلغ (٥٠٠) دينار ضئيل لكنه لا يحرج الطالب... فهو قد يشتري بهذا المبلغ زجاجة مرطبات او قلما مثلا.. لدينا ورشة للرسم ولدينا مشروع لفتح صالون للحلاقة...

هناك ١٨ طالبا يدرسون في مدرسة (جواد سليم) في الكرادة تاخذهم سيارة الدار مع مرافق لهم وهو باحث اجتماعي وتعيدهم الى الدار ثانية.. نعمل على تنفيذ برامج ترفيهية ونشاطات طلابية ففي العيد الماضي قمنا بثلاث سفرات خلال ٣ ايام العيد الاولى لمجمع الجادرية والثانية لمطعم فلس تناولوا فيه وجبة الغداء والاخرى جولة حرة في بغداد ليطلعوا على معالم العاصمة... في الصيف لدينا اشتراك في مسبح الامانة القريب من الدار، ونعمل على بناء مسبح داخل المبنى.. ونعاني عدم وجود المربيات وقد قدمنا طلبا الى الوزارة ونحن الان بانتظار الجواب... الكوادر العاملة في الدار ٣٥ موظفا و ٤٦ من رجال الحراسات.. لدينا حاسبات وكومبيوتر واجهزة اتاري يلعب عليها الطلاب الى جانب صالة كبيرة للاستراحة ومشاهدة التلفزيون الى جانب قاعات للمنام وقاعة للطعام.. البناية ضيقة لا تسمح باقامة ورش للحدادة او النجارة...

وعلى مستوى الرياضة البدنية شاركنا في مسابقة لالعاب الساحة والميدان حضرها وزير الشباب وحصلنا على مدالية تكريمية من وزارة الشباب، نهتم بثقافة الحدث حيث هيأنا له مكتبة كبيرة الى جانب صالة العاب (بلي تو) لاوقات الفراغ..

معوقات العمل

ويشير السيد موحان الى جملة من معوقات العمل منها:-

- عدم تشكيل مجلس رعاية الاحداث حتى الان لكي نعرض عليهم معاناتنا..
- لدينا فرص لتشغيل النزيل لكن فقرات القانون تحددنا.. مع العلم ان تشغيل النزيل في دوائر اخرى سيفتح امامه افاقا رحبة للحصول على الراتب وترتيب حياته وفق ذلك لكن القانون المعمول به حالياً يمنعنا...
- نطالب باعادة النظر في فقرات القانون الحالي..

❖ اين يذهب النزيل بعد بلوغه سن الـ١٨ سنة؟

- المفروض مجلس الرعاية الذي لم يشكل بعد يعمل على ايجاد العمل اللائق للنزلاء بعد بلوغهم الـ١٨ ستة او زجهم في دورات التدريب والتشغيل في الوزارة..

نتجول في الدار لنجدها مرتبة وانيقة بشكل يدعو الى الاعجاب كما انها تحوي شرفات مطلة على نهر دجلة والمنظر في ذاته (شاعري!) يهيء فرصة كبيرة للراحة النفسية...

قسم البحث الاجتماعي

ندخل القسم ونلتقي سبعة باحثين نسألهم عن الحالات الاستثنائية التي تردهم من الاطفال فيحدثنا رئيس القسم قائلا:

- لدينا ثلاثة اخوة من منطقة الدورة.. في عام ٢٠٠٦ وفي احد الايام ذهب الصغار الذين تتراوح اعمارهم من ٧-١٠ سنوات الى مقهى الاتاري... دخل الارهابيون الى دارهم وقتلوا من كان في الدار.. ولم يبق للصغار احد يرعاهم وهم يعيشون وضعا نفسيا سيئا للغاية جراء هذه الحادثة واحدهم كان مصابا بطلق ناري.

قصة الطفل رائد

رائد طفل عمره ٨ سنوات يحدثنا احد الباحثين عنه حيث يقول:

- الطفل رائد طفل جانح يعاني قسوة الاب حيث يضربه والده ضربا مبرحا لذلك جعل منه طفلا عدوانيا مشاكسا... والدة رائد متوفياة.. زوجة والده تسيء معاملته.. العائلة تتمتع بوضع مالي جيد،، احطنا رائد برعاية ابوية لتقليل عدوانيته وقد نجحنا بذلك... وصار يناديني بكلمة(بابا)... اتضح ان موت امه اثر فيه بشكل كبير حيث صار شرسا يعض ويضرب الذي امامه.. بعد ان امضى عندنا فترة عاد طفلا سويا بل وحتى رقيقا!! وذهب الى عائلته...

احدا الباحثين يحدثنا عن وجود حالة مرضية غريبة لاحد الاطفال النزلاء وعمره ١٧ سنة يعاني ضمور الاعضاء التناسلية ويحتاج الى عملية جراحية تجرى له خارج العراق.. ويقول رئيس قسم الباحثين انهم فاتحوا الوزارة لاجراء هذه العملية بسرعة لان الطفل كلما يكبر تزداد صعوبة اجراء العملية... الوزارة لم تهتم بالموضوع... ونحن بانتظار ردها..

ويشير السيد موحان مدير الدار الى وجود مركز طبي يديره معاون طبي فني للحالات البسيطة واذا كانت الحالة تستوجب الاحالة الى المستشفى يرسل المريض اليها...ويشير ايضا الى ان الدار بحاجة الى ورشة للتدريب وصف للمتابعة وقد فاتحنا مجلس المحافظة بذلك فاوعدونا ببناء ورش ونشاط خاص لدعمنا لكن ما زال الامر حبر على ورق...

طلاب يتحدثون

وفي اثناء تواجدنا في الدار التقينا عدد من الطلاب للتعرف على ظروف حياتهم منهم:-

❖ سفيان عبد الله عمره (١٥) سنة جاء الى الدار عام ٢٠٠٣ والده مصري الجنسية وقد طلق والدته العراقية وسافر الى مصر.. يقول سفيان:

- والدتي لا تقوى على اعالتي فهي فقيرة لا اسرة لها.. الدار تقوم برعايتي من مأكل وملبس ومصروف جيب.. لدي موهبة جيدة للرسم وقد شاركت في رسم جداريات قاعة الاستراحة وبعض الاجنحة.. اتمنى ان ادرس الرسم في معهد الفنون الجميلة بعد ان اكمل الدراسة المتوسطة.. لدي علاقات طيبة مع الادارة ومع زملائي الطلبة وانا حزين جدا عندما سابلغ الـ١٨ سنة ساغادر الدار الذي اجده بيتي الصغير وحنان العاملين فيه...

طفل اخر اسمه محمد رحمن عمره ١١ سنة جاء الى الدار في عام ٢٠٠٦ عن طريق احالة من المحكمة ففي احداث الفلوجة الدامية فقد محمد كل افراد اسرته.. يقول محمد:

- اجد الرعاية اللازمة هنا في الدار.. ادرس في الصف الاول الابتدائي وانا متاخر عن الدراسة بسبب ظروفي العائلية.. اخذ مبلغ ٥٠٠ دينار يوميا واذهب بسيارة الدار الى مدرسة جواد سليم في الكرادة وانا جدا مرتاح مسرور لوجودي هنا...

احدث بحث تناول الظاهرة في العراق

٩٠٪ من الاطفال المتسولين يرغبون بتغيير واقعهم

كامل امين هاشم

الدراسات والبحوث اذا ما توفرت في الدوائر المعنية في الغالب تستقر في الادراج... ويعلوها غبار النسيان ... لكننا وجدنا بحثا ميدانيا في وزارة حقوق الانسان يتناول ظاهرة التسول والتشرد..

نلتقي المدير العام لدائرة الدراسات والبحوث في الوزارة المذكورة السيد كامل امين هاشم الذي تحدث الينا عن الجانب الميداني في تسليط الضوء على ظاهرة التسول والتشرد حيث تم تصميم استمارة استبيان استخدمت حول الاطفال المتسولين من الذكور والاناث وتضمنت الاسئلة التي تتعلق بهذه الظاهرة حيث بلغت (٢٠٠) استمارة شملت ١٣٣ متسولا من الذكور و٦٧متسولة من الاناث وتركز البحث على الاطفال المتسولين في مدينة بغداد بجانبيها الكرخ والرصافة.. ومن الجدير بالذكر ان هذا البحث يعتبر من احدث البحوث المتخصصة التي تناولت ظاهرة الاطفال المتسولين في العراق.. كذلك تم استخدام المنهج الثاني من البحث وهو منهج دراسة الحالة (المقابلة) اذ تمت مقابلة ١٠ من المتسولات لغرض دراسة حالتهن كل على انفراد..

وتشير نتائج البحث الميداني ان الفئات العمرية للمبحوثين (٢-١٨) سنة وقد شكلت الفئات العمرية من (٢-٤) نسبة ٥٪ من مجموع المبحوثين والفئة من (٤-٦) سنوات نسبة ١٢٪ والفئة العمرية من (١٠ -١٢) سنة نسبة ١٨٪ والفئة من (١٢-١٤) سنة نسبة ١٧٪ والفئة العمرية من (١٤-١٦) سنة نسبة ١٣٪ والفئة العمرية من (١٦ -١٨) سنة نسبة ٦٪ من اجمالي المبحوثين...

اما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي للمتسولين فقد ظهر ان (١٦٪ و ٤٣٪) من الأمية للذكور والاناث على التوالي وان (٣٣٪ و ٣١٪) من الذكور والاناث على التوالي يستطيعون القارءة والكتابة وان (١٥٪ و٦٢٪) من الذكور والاناث الذين شملهم الاستبيان في مراحل الابتدائية وقد تركوا المدرسة لاجل ممارسة التسول وبموافقة الاسرة.. ويتضح من خلال هذه المؤشرات انخفاض المستوى التعليمي عموما وان نسبة الامية اكبر بين صفوف الاناث، كما اشار البحث الى حقيقة اخرى وهي ان ٥٠٪ من المبحوثين ما زال والداهم على قيد الحياة في حين ان ٢٣٪ منهم فقدوا كلا والديهم وان ١٦٪ منهم فقدوا الاب وان ١١٪ منهم فقدوا الام..واشار البحث ايضا الى ان ١٥٪من المتسولين قد مضى عليهم اقل من سنة في ممارسة هذه المهنة ومن ٣٤٪منهم كانت فترة تسولهم سنة واحدة وان ٣٤٪ منهم ايضا كانت فترة تسولهم بحدود السنتين وان ١٧٪ منهم كانت فترة تسولهم ثلاث سنوات فاكثر ويلاحظ من خلال ذلك ان ظاهرة التسول مهنة لاكثرهم..

كما اشار البحث الى ان ٩٠٪ من المتسولين لديهم مقدرة على ترك مهنة التسول في حالة حصولهم على عمل افضل. كذلك ابدوا استعدادهم لمواصلة تعليمهم او تدريبهم لكي يكونوا قادرين في المستقبل على تحمل المسؤولية وخدمة وطنهم.. وكان الدافع المادي يشكل ٦٧٪... في حين ظهر ان ١٧٪ منهم بسبب وجودهم معظم الوقت في الشارع ولعدم توفر فرص التعليم المناسبة وان ١٦٪ منهم مارس هذه الظاهرة لسد احتياجاته الشخصية...

التوزيع الجغرافي

ويواصل السيد هاشم حديثه بالقول:-

- ومن حيث التوزيع الجغرافي للمبحوثين تبين ان اغلبهم من المناطق الشعبية في بغداد والتي تتميز بالكثافة السكانية العالية وانخفاض مستوى الدخل كمنطقة الشورجة حيث ظهر ان ١٢٥ منهم يسكنون هذه المنطقة وان ٨٪ منهم في منطقة الرشاد و٧٪ في منطقة العامل و٧٪ في باب المعظم وقد استغلوا المباني الحكومية المتضررة والمتروكة بعد سقوط النظام وان ٦٪ منهم في منطقة الفضيلية و٥٪ في منطقة الزعفرانية والبياع والشعب وان ٤٪منهم في أبي غريب و٣٪ منهم في معسكر الرشيد سابقا و٢٪ منهم محل اقامته في كل من الكاظمية وشارع حيفا وحي اور وحي المعلمين...

اما فيما يتعلق باماكن ممارسة ظاهرة التسول فقد ظهر من البحث الميداني ان معظم المتسولين يمارسون مهنة التسول في المناطق المزدحمة بالسكان وتقاطعات الطرق الرئيسة وقد تبين ان ٦٤٪ من المتسولين يمارسون المهنة في جانب الرصافة وان ٦٣٪ منهم في جانب الكرخ كما لوحظ ان ٢١٪ يمارسون مهنة التسول في منطقة المنصور وان ١٢٪ في باب المعظم وان ١١٪ منهم يتسولون في ساحة عقبة بن نافع وان ١١٪ منهم يتسولون في منطقة ساحة الاندلس وان ٨٪ في منطقة الشعب و٨٪ في منطقة الكرادة و٤٪ منهم في الطالبية و٣٪ منهم في الحارثية وكذلك الغزالية و٢٪ في منطقة الغدير والكاظمية وساحة عنتر...

ويلاحظ من ذلك ان اماكن ممارسة مهنة التسول تتميز بارتفاع المستوى الاقتصادي اضافة الى المناطق التجارية ذات الكثافة السكانية العالية.. كما اوضح البحث الميداني ان المتسولين يمارسون بعض المهن الهامشية كغطاء لممارسة ظاهرة التسول وكذلك للابتعاد من الوقوع في اطار المساءلة القانونية وكذلك لابعاد الانظار عنهم.. وان اهم المهن التي يمارسها المتسولون هي بيع الحلويات وورق التنظيف وبيع الادعية الدينية واكياس النايلون والسكائر والمشروبات الغازية وجمع العلب المعدنية الفارغة... وتضمن البحث الميداني ايضا التعرف على المبالغ التي يحصل عليها المتسولون وتبين انها جيدة بحيث تجذب المتسولين لها وتتراوح مابين ٢٥٠-٣٠٠ الف دينار شهريا.. اما كيفية التصرف بهذه المبالغ فقد اتضح من خلال البحث ان ٥٣٪ من المتسولين يتفقون على مساعدة عوائلهم وسد احتياجاتهم اليومية وان ٢٧٪ منهم ينفقونها لسد احياجاتهم الفردية الخاصة وان ٢٠٪ منهم يقومون بتسليم المبالغ التي يحصلون عليها الى المتعهدين الذين يقومون بزجهم وتعليمهم ممارسة هذه المهنة..

كما اشار البحث الميداني لظاهرة الاطفال المتسولين والمشردين. ان بعضهم لا يمارس ظاهرة التسول بشكل فردي وعشوائي وانما يتم ممارسة هذه الظاهرة السلبية والخطرة من خلال عملية منظمة حيث توجد جهات معينة تقوم بالاشراف عليهم وجلبهم وتوزيعهم على اماكن التسول.. وكذلك السيطرة والتحكم بدخولهم واستقطاع نسبة معينة منها او الاستحواذ عليها بصورة كلية مقابل توفير السكن والملبس والماكل لهم...